

## مجموعة رأس للإيجار للقاص كريم صبح

## الشخصية بين اليوتوبيا والديستوبيا

## إيمان الزيات

مصر

بين عنوان مشحون بالضجر ومتن مزجحم بالفصائل صيغت قصص مجموعة (رأس للإيجار) بانامل القاص العراقي (كريم صبح) الذي راح ينثر بغداده بين ثنائيا مجموعته ففتحظهر شهورها (تموز بغداد)، وعملتها المحلية (خمسة آلاف دينار)، ومؤسساتها (طابقتها مجلة أدبية عراقية)، وطروفها السياسية والاجتماعية، والإقتصادية، والكثير من ربوع العراق الخطرة منها أو الأمانة (كتكريت، وكركوك، ونازة، وجبلة، والبصرة، والرمحانية)، وباشباحها الإرهابية الداعشية المتوضعة في فضاءات المضمومة المكائنة، والأزمنية.

في الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين، الأول من نيسان 2050 القين القبض على رؤساء الدول من الرجال المجتمعين في العاصمة والولاية الأمريكية الحادية والخمسين على الحدود الآسيوية الأفريقية الأوروبية، بعد ثلاثين سنة من حروب السيطرة والنفوذ، وأودعهم في جزيرة أعيد تأهيلها سريعا، فكان اللون الأخضر هو اللون الغالب عليها، وجعل من خلال تركيب كيميائي جديد ذرة الأوكسجين فيه تشتمل على احساس الحب وحده. حقق واللافتة التي تعكس تمزق الشخصية العراقية الوسطية وصلبتها في المجتمعات المعاصرة بفعل الظروف المتضاربة التي تتجاذبها بين الاتجاه ونقضه، تبعاً لاهواء السيطرة لأصحاب السيادة، موتيفات لا تتفق ولا تشكل أي تغيير ملحوظ مثل موتيفة (دون كيجوتي لثريباتنس) فقلى الرغم من صلاحها إلا أنها ضعيفة في مقابل الموتيفة (الميكافيلية) المستاسدة، وكلاهما موتيفات صادقة بالمجتمعات غير المتوازنة لغياب الموتيفة المتوسطة بينهما، وانسحاقها بين شقي رحي (اليوتوبيا، والديستوبيا) اللتان قد يمثلهما أفراد أو ظروف أو قوى وجودية كما في قصة (افراط)، وموتيفة (جلال) صاحب العقلية الفلسفية والتفكيرية التي تتحول بالأسلبة إلى موتيفة عاجزة معطلة غير منجزة تعاني (الصمم والبكم) وتثور في خرس كما في قصة (نجم).

هذا بالإضافة إلى الشخصيات التي تعاني من (الغوبيا) من ركوب الطائرات كرمز لنوع عام من الغوبيا العربية التي تخشى التخليق كما في قصة (نذير) التي صور فيها المجتمع العربي برمته من الراكب إلى القائد مصاب بترك الغوبيا المعلقة. ظهرت ويقة موتيفة القاص الروائي والصحفي والمفكر الذي يحاول تغيير حاله، وبيئته ومجتمعه بل والعالم بأسره من خلال كتاباته دون جدوى.

أما عن الروعة المشهودة السينمائية، وتمازج السرد بالحوار، فقد تجلت تلك التقنيات في قصة (انطال على هامش النقص)، كما صار الحلم، والمامول (كذبة) حققها الكاتب بتقنيته (العجابية) حين قال:

– ففي الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين، الأول من نيسان 2050 القين القبض على رؤساء الدول من الرجال المجتمعين في العاصمة والولاية الأمريكية الحادية والخمسين على الحدود الآسيوية الأفريقية الأوروبية، بعد ثلاثين سنة من حروب السيطرة والنفوذ، وأودعهم في جزيرة أعيد تأهيلها سريعا، فكان اللون الأخضر هو اللون الغالب عليها، وجعل من خلال تركيب كيميائي جديد ذرة الأوكسجين فيه تشتمل على احساس الحب وحده. حقق نجاحا باهرا، يتمكنهن من تدجين الرؤساء الرجال في مدة ستة شهور، فأصبحوا متحابين، وما عادوا يعرفون غير شعور الحب. وتتمظهر روعة الحوار وأهميته ومدى رحابته وتنوعه في مضمومة (رأس للإيجار) وبصفة خاصة في الموضوعات الجدلية المتعلقة غير المحسومة كصير العالم، والسلام، والحرب، والفساد السياسي؛ فقد استخدم الكاتب نمط الحوار الأنسب – حوار سقراط الديالكتيكي – الذي لا يتحقق إلا من خلال تقابل وجهات النظر حول موضوع ما، وفعله فغلبا مائزا حين قال:

– لكننا نهاية لم تضع خاتمة للحرب والكره. لن يكون بإمكان أية نهاية يضعها البشر أن تفعل ذلك مادام بعضهم يتاجر بهما وينتفع منهما. هذا هو الواقع يا صديقي، هذا هو الواقع. حسنا، هو فراق فكري دائم بيننا إذن، لك واقف ولي كذبة نيمان، فهي انشقى وانسل منه، لأنها لا تحرميني حلمي ولا تجردني من أمني.

صنف آخر من صنوف الحوار يظهر في قصة (مخاض) حيث تتخطى الهجة العراقية في حوارها، ويفعل الكاتب من خلال ذلك الحوار فن الأمل (الشعبية) بين شخصين في فضاء مكاني مألوم لظهور حدث أن الاثنين سيثيران في مناقسة جدية باستخدام منطق مقارعة الحجة بالحجة، ولم يهزم فيها يكون ملزماً بدفع ثمن شابات أفراد الحلقة مهما بلغت أعدادها، حيث دارت تلك المحادثة في فضاء (المقهى):

– أبو الجعل فوك التل، بيده عصاته وينقر.

بين عنوان مشحون بالضجر ومتن مزجحم بالفصائل صيغت قصص مجموعة (رأس للإيجار) بانامل القاص العراقي (كريم صبح) الذي راح ينثر بغداده بين ثنائيا مجموعته ففتحظهر شهورها (تموز بغداد)، وعملتها المحلية (خمسة آلاف دينار)، ومؤسساتها (طابقتها مجلة أدبية عراقية)، وطروفها السياسية والاجتماعية، والإقتصادية، والكثير من ربوع العراق الخطرة منها أو الأمانة (كتكريت، وكركوك، ونازة، وجبلة، والبصرة، والرمحانية)، وباشباحها الإرهابية الداعشية المتوضعة في فضاءات المضمومة المكائنة، والأزمنية.

في الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين، الأول من نيسان 2050 القين القبض على رؤساء الدول من الرجال المجتمعين في العاصمة والولاية الأمريكية الحادية والخمسين على الحدود الآسيوية الأفريقية الأوروبية، بعد ثلاثين سنة من حروب السيطرة والنفوذ، وأودعهم في جزيرة أعيد تأهيلها سريعا، فكان اللون الأخضر هو اللون الغالب عليها، وجعل من خلال تركيب كيميائي جديد ذرة الأوكسجين فيه تشتمل على احساس الحب وحده. حقق نجاحا باهرا، يتمكنهن من تدجين الرؤساء الرجال في مدة ستة شهور، فأصبحوا متحابين، وما عادوا يعرفون غير شعور الحب. وتتمظهر روعة الحوار وأهميته ومدى رحابته وتنوعه في مضمومة (رأس للإيجار) وبصفة خاصة في الموضوعات الجدلية المتعلقة غير المحسومة كصير العالم، والسلام، والحرب، والفساد السياسي؛ فقد استخدم الكاتب نمط الحوار الأنسب – حوار سقراط الديالكتيكي – الذي لا يتحقق إلا من خلال تقابل وجهات النظر حول موضوع ما، وفعله فغلبا مائزا حين قال:

– لكننا نهاية لم تضع خاتمة للحرب والكره. لن يكون بإمكان أية نهاية يضعها البشر أن تفعل ذلك مادام بعضهم يتاجر بهما وينتفع منهما. هذا هو الواقع يا صديقي، هذا هو الواقع. حسنا، هو فراق فكري دائم بيننا إذن، لك واقف ولي كذبة نيمان، فهي انشقى وانسل منه، لأنها لا تحرميني حلمي ولا تجردني من أمني.

صنف آخر من صنوف الحوار يظهر في قصة (مخاض) حيث تتخطى الهجة العراقية في حوارها، ويفعل الكاتب من خلال ذلك الحوار فن الأمل (الشعبية) بين شخصين في فضاء مكاني مألوم لظهور حدث أن الاثنين سيثيران في مناقسة جدية باستخدام منطق مقارعة الحجة بالحجة، ولم يهزم فيها يكون ملزماً بدفع ثمن شابات أفراد الحلقة مهما بلغت أعدادها، حيث دارت تلك المحادثة في فضاء (المقهى):

– أبو الجعل فوك التل، بيده عصاته وينقر.

صنف آخر من صنوف الحوار يظهر في قصة (مخاض) حيث تتخطى الهجة العراقية في حوارها، ويفعل الكاتب من خلال ذلك الحوار فن الأمل (الشعبية) بين شخصين في فضاء مكاني مألوم لظهور حدث أن الاثنين سيثيران في مناقسة جدية باستخدام منطق مقارعة الحجة بالحجة، ولم يهزم فيها يكون ملزماً بدفع ثمن شابات أفراد الحلقة مهما بلغت أعدادها، حيث دارت تلك المحادثة في فضاء (المقهى):

صنف آخر من صنوف الحوار يظهر في قصة (مخاض) حيث تتخطى الهجة العراقية في حوارها، ويفعل الكاتب من خلال ذلك الحوار فن الأمل (الشعبية) بين شخصين في فضاء مكاني مألوم لظهور حدث أن الاثنين سيثيران في مناقسة جدية باستخدام منطق مقارعة الحجة بالحجة، ولم يهزم فيها يكون ملزماً بدفع ثمن شابات أفراد الحلقة مهما بلغت أعدادها، حيث دارت تلك المحادثة في فضاء (المقهى):

ثم بدأ تدرج الأحداث من الحالة الأنيبة التي خولت له ذكر مكانه: (السيارة)، ووجهته: مدينة (كركوك)، وأزمته كذلك حين قال:

تحتسنت قربة ماء حملتني إياها أم حسنون وهي ندعو لي بسلامة الوصول إلى كركوك والعنور على زوجتي، وإبني اللذين نجحا في الوصول إلى مخيمات النازحين في أطرافها. البستني ملابس نسائية وهربتني ليلا من قريتي في أطراف كركوك خشية قتلي على يد داعش الذي اغتصب عذرية القربة قبل أسبوع.

يحدد الكاتب المخاطر والمعوقات ويبدأ العنصر الدرامي بالظهور حين يقول:

“خياراتي لم تكن كثيرة وأنا أقطع طريقا ترابيا متعرجا في رحلة الله وحده يعلم إن كانت ستقودني إلى المجهول في هذا الصيف الالهي؛ إما أن أقتل رميا برصاص أفراد داعش المتعطشين إلى الدماء، أو حرقا أو اغراقا، وإما رحلة محفوفة بمخاطر شتى إلى كركوك.

قدم عليّ الخيار الثاني السير على قدمي مسافة 20 كيلو مترا، وهي طول الطريق الأسفلتي بين كركيت وكركوك. لكني اخترت طريقا ترابيا

جدائل ودي وصلاتي/إنها مملكة وأفضة وصولي الغامض/وعناوين صفاف التوت/ ربما تمتلك وصبة صدق/ووفرة من نوافذ الهشم/ ربما هي راية مسلوحة/ وأمجاد كاذبة العين ص 100

اختار الشاعر عدنان علي عنوان لديوانه وهو عنوان لقصيدة ملحمية تتكون من خمس مقاطع أطلق عليها عنوان فكري (مكتمل بخرابي) أي ما حدث يبدو في رؤية الشاعر ناقصا إذا لم يضاف إليه خاصته من (الخراب)

أوراق الكشف المقطع الأول (أوراق الكشف) يقدم الشاعر أوراق اعتماده للمتلقي هل من أجل التعريف بسيرته الذاتية أو

متعرجا طويلا لا يخلو من تضاريس طبيعية تجعل المخاطر أقل، وإن كنت قد علمت سابقا أن داعش بات يعتمد على الدوريات الراجلة في ملاحقة الفارين من قبضته. الواقع، المسافة التي يجب علي قطعها أضيفت إليها قرابة 25 كيلو مترا. أمضيت يومين في مسير متعرج تخلله بعض الوقت للراحة والنوم المنقطع اللق.

مازالت دالة الزمن حاضرة في هذا النص، متماهية مع حالة السباق والملاحقة التي يعيشها البطل مع الزمن ومن الظروف:

“كان الوقت ظهر اليوم الثالث، والمسافة المتبقية إلى ناحية تازة غير الخاضعة لداعش، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من كركوك، قرابة 20 كيلو مترا.” وتتجلى انزياحات العنوان ونماهي وتتداخل حالة الطير، طير القطا، الضمان مع البطل الرئيس حين يقول: “عندما صادفني طير القطا الضمان، حط قريبا مني. كان منيها ومزعجا من شمس يعثق إلى الأرض جحما لا يطاق بدلا من دفءها الجميل الذي كان ينثر الحياة قبل شهرين. شعرت به يجتذر مني حلا لمشكلتي ومشكلته.”

ولكن وعلى الرغم من الواقع المظلم إلا أن الكاتب قد أثر أن يختم قصته

من أجل الاعتراف بالذنوب أو لكسب عطف المتلقي بما أصاب الشاعر من ألم وعذاب وأحزان “من قتل الرجل/ من طعن المعنى/ ولا ن سواحل مبهمة وطواطم/ الملائكة والقطط السود/ ورائحة الخنيل/ طريق لحار الفلال/ كان الرجل في الستين من القاع/ رباؤه لأخر مرة في طوس/ ونسج الضوم على كتفيه / شعللة تتريل وشكوك خامدة / كان الخبير يرحل بين يديه/ ويغزو الخطو نهارا/ المعصم ساقية/ وفضض من بلور/ كان حزينا/ كمشافات فائقة الود/ وكان الليل طويلا كحلال مفزعة/ اغصان الفيض

في هذا المقطع يحاول الشاعر أن يحل في فضاء يقدم الكثير من الرؤى ويفصص عن حجم المعاناة والبؤس العذاب، وهو من الشعراء الذين يتناسبون طربيا مع شدة الحزن فيكون الشعر عندهم من نسج الألم في هذا المقطع يبدأ في استهلال عنوان الديوان (سقطت تفاحة ظني) وهنا تتسحب الكلمات متقلبة بأحزان الشاعر ((أعداء كيلون (المدح) “ساقايض الوردة / عوسجها / والأمل المخيوة/ الأمل المسجي في اصداق الحيرة/ فاسا وجع لئون اللذة/ والبهجة/ مائل في لوحة الغبار”

تتميز عدنان علي بقدرته على تنوع الأيقاعات الشعرية مع المحافظة على وحدة الموضوع ، ففي المقطع الثالث ينحو نحو طرح الأسئلة الفلسفية عن الوجود ومبررات الاستمرار في ظل التلاعب بترتيب الغرائبية بالكلمات “العقيدة بلهائ رثة/ والأشكال تأخذ أمراضها/ في العيون/ كنت وحيدا والصدغين دوائر/ ومثلت أفتي/ انثي في زاوية النص/ حافية في غرفة الحرف الكسول/ فوق أسلاك جنائني/ الشائكات نعومة/ وفي الصلاة اصابع/ وميسرة/ ولي السهات/ كنت وحيدا/ هل نبقي معا/ جوع في ساقلة البئر الحصين/ ووحشة انتظار/ والصبر قصير منقطع/ وكان الوزن على بحر اقل/ احن لسيف البهجة/ وأقي تحت



غلاف المجموعة القصصية

بنهاية واعدة أملة في عطاء السماء، مستخدما الغرابة ومؤكدا للقرائ على أن الظلم والظلام لا يبد لهما أن يجلبا أخيرا.

“شارفت على الموت أكثر من مرة على أديم هذه الأرض التي تغلي ببركانها. فرثت الجسد المتعب عليها والتصقت بها، مرات على بطني ومرات على ظهري. تركزت للبركان أن يسري في جسدي كله، انقلبت على ظهري. اغمضت عيني، فمّن يجرق على النظر إلى الغرض الدامي. لا أدري كم لبثت على ذلك، لكني فحقت عيني المغلقة بالسماء عندما استحال الجحيم إلى سمات

هواء عليل. يا الهي! أختفي البركان وظللتني الغيمة التي جلبتها طيور القطا من بحار بعيدة، وزاح صديقي الذي تحطى الموت يطير قريبا مني وأنا أكمل طريقي إلى المدينة الفيسيساء.”

وخلاصة القول فقد قدم لنا القاص العراقي المائز (كريم صبح) مجموعة قصصية واقعية صادقة، بتقنيات حديثة متقنة من الهوامش لكلمات، ومتماهية مع حالة الكاتب – كإنسان عربي – المرواحية بين ما يشاهده وما يتخنى حدوثه بالفعل، حيث يحاول أن يخلق حوارته الأدبية جسرا إبداعيا ينقل القارئ من (الكائن) الشوه إلى (الممكن) الجميل.

من أجل الاعتراف بالذنوب أو لكسب عطف المتلقي بما أصاب الشاعر من ألم وعذاب وأحزان “من قتل الرجل/ من طعن المعنى/ ولا ن سواحل مبهمة وطواطم/ الملائكة والقطط السود/ ورائحة الخنيل/ طريق لحار الفلال/ كان الرجل في الستين من القاع/ رباؤه لأخر مرة في طوس/ ونسج الضوم على كتفيه / شعللة تتريل وشكوك خامدة / كان الخبير يرحل بين يديه/ ويغزو الخطو نهارا/ المعصم ساقية/ وفضض من بلور/ كان حزينا/ كمشافات فائقة الود/ وكان الليل طويلا كحلال مفزعة/ اغصان الفيض

في هذا المقطع يحاول الشاعر أن يحل في فضاء يقدم الكثير من الرؤى ويفصص عن حجم المعاناة والبؤس العذاب، وهو من الشعراء الذين يتناسبون طربيا مع شدة الحزن فيكون الشعر عندهم من نسج الألم في هذا المقطع يبدأ في استهلال عنوان الديوان (سقطت تفاحة ظني) وهنا تتسحب الكلمات متقلبة بأحزان الشاعر ((أعداء كيلون (المدح) “ساقايض الوردة / عوسجها / والأمل المخيوة/ الأمل المسجي في اصداق الحيرة/ فاسا وجع لئون اللذة/ والبهجة/ مائل في لوحة الغبار”

تتميز عدنان علي بقدرته على تنوع الأيقاعات الشعرية مع المحافظة على وحدة الموضوع ، ففي المقطع الثالث ينحو نحو طرح الأسئلة الفلسفية عن الوجود ومبررات الاستمرار في ظل التلاعب بترتيب الغرائبية بالكلمات “العقيدة بلهائ رثة/ والأشكال تأخذ أمراضها/ في العيون/ كنت وحيدا والصدغين دوائر/ ومثلت أفتي/ انثي في زاوية النص/ حافية في غرفة الحرف الكسول/ فوق أسلاك جنائني/ الشائكات نعومة/ وفي الصلاة اصابع/ وميسرة/ ولي السهات/ كنت وحيدا/ هل نبقي معا/ جوع في ساقلة البئر الحصين/ ووحشة انتظار/ والصبر قصير منقطع/ وكان الوزن على بحر اقل/ احن لسيف البهجة/ وأقي تحت